Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أو ذهب ببيته ، وليس ذهابه به من حيث معناه ، بل لأنه أخذه فكساه بألفاظ جديدة ، وصاغه صياغة جديدة ، فيها خفة ورشاقة وإيجاز وصقل وعذوبة ليست في بيت بشار ، وتلك هى صناعة الأديب وتصرفه فى لغة الأدب ، وهى التى جعلت بيت سلم أجرى على ألسنة المتمثلين ، وأخف وقعاً على السامعين والقارئين . فالفضل كما يبدو هنا من حيث اللفظ ، واللفظ وحده ، ولا شرف لمعنى أحد البيتين على معنى الآخر .

وذلك الذى نقوله فى شأن الألفاظ يوافق رأى « لاسل أبركرمبى » فى قوله : إن المؤلف الذى يريد أن ينقل إلى الأذهان أدق المشاعر وأخص الإحساسات التى يجيش بها خاطره ، لابد له أن يعتمد على مقدرة قرائه على أن يستجيبوا لما توحى به ألفاظه . وكان سقراط يعزو قوة الابتكار الأدبى إلى ماسماه « الطبيعة الخاصة » وهى التى وصفها بأنها قادرة على الإثارة ، وهذا صحيح ، لكن هذه الإثارة لاغناء فيها إذا لم تكن هنالك قوة تعبر عنها تعبيراً لفظياً مفهوماً .

« والذى يمتاز به الفنان الأديب على غيره هو الإحساس اللفظى ، وآية ذلك علمه بما تستطيع الألفاظ أن توحى به وحيا . وهذا الإحساس اللفظى هو كذلك الذى يميز القارىء الذى يتذوق الأدب ، وآية ذلك أن يستجيب إلى وحى الألفاظ – موجبة فى المؤلف المبتدع ، وسالبة فى القارىء المتذوق – ويجب علينا أن نفترض أنها الشرط الأول لفن الأدب(١) .. ومعنى ذلك أن للألفاظ دوراً كبيراً فى الإيحاء بالمعانى التى تحملتها عن طريق ما اكتسبته من ظلال فى أثناء سيرها وتنقلها عبر الزمان .

★ ★ ★

ومثل ذلك يقال فى باب « السرقات » وقد أجازها كثير من النقاد من أنصار الصناعة ، معتمدين على فنية التعبير التى تبدو فى صياغة المعانى أو إعادة صياغتها ، وهذا قول صريح نجده فى كتابات أبى هلال العسكرى ، التى يقرر فيها أن الناس لاغنى لهم عن تناول معانى المتقدمين ، يأخذونها ويكسونها ألفاظاً من عندهم ، ويبرزونها فى معرض من تأليفهم ، ويوردونها فى غير حلتها الأولى ، ويزيدونها حسن تأليف وجودة تركيب وكمال حلية ، فإذا فعلوا ذلك فهم أحق بها ممن سبق إليها ، لأن تلك المعانى فى نظره –

---

(١) قواعد النقد الأدبى ٣٩